بغصن من أغصان الشجرة وألقى رمحه وأقبل حتى جلس فجعل يحدثني حديثا ذكرت به قول أبي ذؤيب .

( وإنّ حديثاً منكِ لو تَبْذُلِينَه ... جَنَى النّحْلِ في ألبان عُوذٍ مَطَافلِ ) .

فقمت إلى فرسي فأصلحت من أمره ثم رجعت وقد حسر العمامة عن رأسه فإذا غلام كأن وجهه الدينار المنقوش .

فقلت سبحانك اللهم ما أعظم قدرتك وأحسن صنعتك .

فقال مم ذاك قلت مما راعني من جمالك وبهرني من نورك .

قال وما الذي يروعك من حبيس التراب وأكيل الدواب ثم لا يدري أينعم بعد ذلك أم يبأس .

قلت لا يصنع الله بك إلا خيرا .

ثم تحدثنا ساعة فأقبل علي وقال ما هذا الذي أرى قد سمطت في سرجك قلت شراب أهداه إلي بعض أهلك فهل لك فيه من أرب قال أنت وذاك .

فأتيته به فشرب منه وجعل ينكت أحيانا بالسوط على ثناياه فجعل والله يتبين لي ظل السوط فيهن .

فقلت مهلا فإني خائف أن تكسرهن .

فقال ولم قلت لأنهن رقاق وهن عذاب .

قال ثم رفع عقيرته يتغنى .

( إذا قبّل الإنسانُ آخر يشتهي ... ثناياه لَمْ يأثَمْ وكان له أجْراً ) .

( فإن زاد زاد الله في حَسَناته ... مثاقيلَ يمحو الله عنه بها الوِزْرَا ) .

ثم قام إلى فرسه فأصلح من أمره ثم رجع .

قال فبرقت لي بارقة تحت الدرع فإذا ثدي كأنه حق عاج .

فقلت نشدتك الله امرأة قالت إي والله إلا أني أكره العشير وأحب الغزل .

ثم جلست فجعلت تشرب معي ما أفقد